(الإرادة والمشيئة والمحبة عند الأشاعرة والماتريدية) دراسة نقدية.[١]

أ. ضحى أحمد مهنا العازمي

باحثة ماجستير – قسم الدراسات الإسلامية –كلية التربية – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية

scis.ksu@gmail.com

Will, Volition and Love from Asha'riah and Matridiah's perspective: a critical study

Ms. Dhuha Ahmed Muhanna AlAzmi

MA Student, Department of Islamic Studies, Faculty of Education, King Saud University, Saudi Arabia

ملخص البحث:.

يتناول هذا البحث مسألة الإرادة والمشيئة والمحبة عند الأشاعرة والماتريدية، والفرق بينهما، وتقرير عقيدة السلف في صفتي الإرادة والمشيئة، وذلك باستخدام المنهج الاستقرائي الاستنتاجي التحليلي.

وخلصت الدراسة إلى الآتي: أثبتت الأشاعرة الإرادة كصفة أزلية قديمة متعلقة ذات الله –تعالى–، لا تتجدد بتجدد الحوادث، مرتبطة بصفة العلم، ووافقهم الماتريدية على ذلك.

وذهب جمهور الأشاعرة إلى أن الإرادة تستلزم المحبة والرضا، فالله –تعالى– يريد الكفر ويحبه ويرضى به؛ وهذا ناتج عن عدم تفريقهم بين الإرادة الشرعية والكونية، وأما الماتريدية فهم موافقون لمذهب السلف، في عدم استلزام الإرادة للمحبة والرضا، فالكفر مراد الله –تعالى– ولكنه لم يرض به ولم يحبه، كما أنه بسبب عدم معرفة الفرق بين الإرادتين، وقع الخطأ في مسألة الإرادة، فلم يقسم الأشاعرة والماتريدية الإرادة والمشيئة

Abstract:

This article aims to address the issue of Will, Volition and Love from Asha'riah and Matridiah's perspective, the difference between them and deciding Salaf's doctrine on it. The study employs the inductive, deductive and analytical approach. It concludes that both Asha'riah and Matridiah see Will as an eternal attribute related to Allah's Self, and His Knowing. Asha'riah and their followers see that Will requires Love and satisfaction, and that Allah wants and likes Kufr, due to not defining Legal and Global Will. However, Matridiah agree with Salaf that Will does not require Love of Kufr, because Allah does not want and like Kufr, and also not knowing the difference between both Wills. In fact, both Asha'riah and Matridiah mix between Will and Volition. Volition is global while Love is religious. Will is divided into two types, viz. Global Will, which is Volition, and religious Will, which is Love.

Keywords: Will, Volition, Love, Salaf, Asha'riah, Matridia.

[١] تاريخ الاستلام: ١٧ / ١٢ / ٢٠٢٣، تاريخ القبول: ١٥ / ٠١ / ٢٠٢٤

إلى قسمين، والمشيئة هنا والإرادة هي الإرادة الكونية التي تنتظم جميع الحادثات والكائنات، ولفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى: إرادة كونية فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة.

الكلمات المفتاحية: الإرادة، المشيئة، المحبة، السلف، الأشاعرة، الماتريدية.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران :١٠٢)

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ (النساء:١)

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ (الأحزاب : ٧٠)

إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[١]. أما بعد:

فإن العلم بالله عز وجل وبأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم وأقدسها على الإطلاق، وهو علم يجب على المسلم إدراكه بشكل صحيح، وقد اهتم العلماء ببيان صفاته التي تليق به –عز وجل– من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، فألفوا المصنفات في ذلك، والردود على بعض الفرق التي أولت بعض الصفات، ومنها فرقتي الأشاعرة والماتريدية[٢]، ومن هذه الصفات صفتي الإرادة والمشيئة، التي دار حولها الجدل بين الفرق الكلامية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١–ارتباط الموضوع بمسألة مهمة في العقيدة وهي القضاء والقدر.

٢– دراسة هذه المسائل دراسة أكاديمية، وتحريرها تحريراً علمياً؛ يحل الكثير من الإشكالات في باب القدر، التي يخوض فيها الأشاعرة والماتريدية.

٣- تنزيه الله عز وجل عن النقائص والمعايب، كالقول بالجبر والكسب.

٤- حاجة المسلم لتقرير المذهب السليم في هذه المسالة بأدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة.

أهداف البحث:

١- بيان قول الأشاعرة والماتريدية في صفتي الإرادة والمشيئة، وعلاقتهما بالمحبة.

٢- ذكر أوجه الاتفاق والاختلاف بين فرقتي الأشاعرة والماتريدية في مسألة الإرادة والمشيئة.

٣-تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الإرادة والمشيئة.

مشكلة البحث:

إن موضوع الإرادة والمشيئة؛ وهل هي مستلزمة للرضى والمحبة؟ مما خاض فيه أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية، وانحرفوا فيه عن الحق؛ فترتب على ذلك التزامات باطلة في عدة أبواب منها: باب القضاء والقدر، وخلق أفعال العباد، والقول بالكسب، والجبر؛ لذا جاءت هذه الدراسة، لبيان قول الأشاعرة والماتريدية، ومن ثم بيان الحق من مذهب السلف.

أسئلة البحث:

١- ما قول الأشاعرة والماتريدية في صفة الإرادة، وعلاقتها بالمحبة؟

٢- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين جمهور الأشاعرة والماتريدية في مسألة الإرادة والمشيئة؟

٣- ما عقيدة السلف في صفة الإرادة والمشيئة؟

حدود البحث:

هذا البحث محصور في فرقتي الأشاعرة والماتريدية فيما يتعلق في مسألة الإرادة والمشيئة وتعلقهما بالمحبة.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والمطالعة، يوجد بعض الدراسات التي تناولت بعض جوانب الموضوع منها:

١- الإرادة عند السلف والمتكلمين "عرض ونقد"، للباحثة: نجلاء حنضل أحمد الشاعر، وهو بحث قُدم في الجامعة الإسلامية بغزة كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، والبحث تناول مسألة الإرادة وخلق أفعال العباد، والكسب والجبر، والاختيار، بين أهل السنة والمتكلمين.

٢- الإرادة الإلهية بين الإطلاق والتقييد عند المعتزلة وأهل السنة "عرض ونقد "، للباحثة: إيمان عبد المؤمن سعد الدين، نشر: جامعة الأزهر، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، والبحث تناول صفة الإرادة، ومعرفة ما دار من خلاف بشأنها بين المعتزلة وأهل السنة، مع التأكيد على موطن الخلاف، وما يتعلق بها من مسائل كلامية عديدة، كمسألة القضاء والقدر، والجبر والاختيار،

وأفعال العباد، والخير والشر، ومعرفة كون الإرادة الإلهية مطلقة أم مقيدة، قديمة أم حادثة، وعلاقتها بالمشيئة والأمر والرضا والمحبة، وعلاقتها أيضا بصفتي القدرة والعلم، إلي غير ذلك من مسائل.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء المسائل التي تخص مسالة الإرادة والمشيئة والمحبة عند السلف، والأشاعرة والماتريدية.

الاستقرائي الاستنتاجي: وذلك باستنتاج آراء وأقوال الأشاعرة والماتريدية والسلف في مسالة الإرادة والمشيئة والمحبة.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل آراء وأقوال الأشاعرة والماتريدية والسلف في مسالة الإرادة والمشيئة والمحبة.

إجراءات البحث:

١- إيراد أقوال أئمة الأشاعرة والماتريدية في مسائل البحث من كتبهم الخاصة.

٢- ترتيب أقوال الأئمة في الدراسة ترتيبا زمنيا حسب الأقدم.

٣- ذكر المقارنة الإجمالية بين قول الجمهور الأشاعرة والماتريدية نهاية كل مسألة.

٤- مناقشة أقوال المخالفين ونقدها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

٥- ذكر بيانات المصدر أو المرجع باختصار، أذكر اسم الكتاب، واسم مؤلفه، وأما ما يتعلق بالمعلومات التفصيلية المتعلقة بالكتاب فقد جعلتها في فهرس المصادر والمراجع.

٦- عزو الآيات القرآنية، بذكر السورة ورقم الآية.

٧- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث فإذا كانت في الصحيحين أكتفي بهما، وإذا كانت في غيرهما حكمت عليها بالصحة والضعف من كلام أهل العلم.

٨- تذليل البحث بفهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

ويشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهداف ومشكلة البحث، وأسئلته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه تعريف الإرادة والمشيئة والمحبة.

المبحث الأول: الإرادة عند الأشاعرة والماتريدية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإرادة وعلاقتها بالمحبة عند الأشاعرة.

المطلب الثاني: الإرادة وعلاقتها بالمحبة عند الماتريدية.

المطلب الثالث: الموازنة بين قول الأشاعرة والماتريدية.

المبحث الثاني: المشيئة عند الأشاعرة والماتريدية، **وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأول: المشيئة عند الأشاعرة.

المطلب الثاني: المشيئة عند الماتريدية.

المطلب الثالث: الموازنة بين قول الأشاعرة والماتريدية.

المبحث الثالث: الإرادة والمشيئة عند أهل السنة والجماعة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المصادر والمراجع.

والله أسال أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجه الكريم.

تمهيد: تعريف الإرادة والمشيئة:

أولاً: الإرادة والمشيئة لغة:

قال بن فارس: "الراء والواو والدال معظم بابه يدل على مجيء وذهاب من انطلاق في جهة واحدة، تقول: راودته على أن يفعل كذا، إذا أردته على فعله، والرود: فعل الرائد، يقال بعثنا رائداً يرود الكلاب، أي ينظر ويطلب"(٣).

وفي الدر المصون: الإرادة لغة: طلب الشيء مع الميل إليه، وقد تتجرد للطلب، وهي التي تنسب إلى الله تعالى، وعينها واو من يرود أي: طلب، فأصل أراد أرود مثل أقام، والمصدر الإرادة مثل الإقامة، وأصلها: إرواد فأُعلت وعوض من محذوفها تاء التأنيث(٤).

قال الجوهري: (المشيئة: الإرادة ومثله في المصباح والمحكم وأكثر المتكلمين لم يفرقوا بينهما وإن كانتا في الأصل مختلفتين، فإن المشيئة في اللغة: الإيجاد، والإرادة: طلب)(٥).

ثانياً: الإرادة والمشيئة اصطلاحاً:

قال ابن حجر في تعريف الإرادة: "هي صفة قديمة قائمة بذاته، ويكون تعلقها بما يصح كونه مراداً، فما وقع بإرادته، وهو سبحانه خالق أفعال العباد، وأنهم لا يفعلون إلا ما يشاء"(٦).

وقال السفاريني في اللوامع: " أن صفة الإرادة مما يجب لله عز وجل، ويرادفها المشيئة، وهما عبارتان عن صفة في الحي، توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع، مع استواء نسبة القدرة إلى الكل"(٧).

والفرق بين الارادة والمشيئة: قيل: الإرادة هي العزم على الفعل، أو الترك بعد تصور الغاية، المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك، وهي أخص من المشيئة، لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتها إلى الارادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم، فإنك ربما شئت شيئا ولا تريده، لمانع عقلي أو شرعي، وأما الإرادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة، وقد يطلق كل منهما على الآخر توسعا(٨).

المبحث الأول: الإرادة عند الأشاعرة والماتريدية

المطلب الأول: الإرادة عند الأشاعرة:

أولاً: حقيقة الإرادة عند الأشاعرة:

يثبت الأشاعرة الإرادة كصفة قديمة لله عز وجل، لا تتجدد بتجدد الحوادث، وهم يرجعون الكثير من الصفات إلى الإرادة ، كصفة المحبة والرضا والغضب، فهم يثبتونها كصفة أزلية قائمة بذات الله -تعالى- وهم بذلك ينفون أن يكون الله يريد ما شاء متى شاء، ولا يفرقون بين الإرادة الشرعية والكونية، وعلى ذلك فهم لا يثبتون صفة الإرادة كما أثبتها أهل السنة والجماعة من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

قال أبو الحسن الأشعري(٣٢٤هـ)(٩): مبيناً الصفات التي أثبتها الأشاعرة لله -عز وجل- ومنها صفة الإرادة: (وأجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل لم يزل بها حياً، وعلماً لم يزل به عالماً، وقدرة لم يزل بها قادراً، وكلاماً لم يزل به متكلماً، وإرادة لم يزل بها مريداً، وسمعاً وبصراً لم يزل به سميعاً بصيراً، وعلى أن شيئاً من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثاً(١٠)).

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني(ت.٤٠٣هـ) في بيان صفة الإرادة :" صفة لذاته غير مخلوقة، لا على ما يقوله القدرية، وأنه مريد بها لكل حادث في سمائه وأرضه مما يتفرد سبحانه بالقدرة على إيجاده، وما يجعله منه كسباً لعباده، من خير، وشر، ونفع، وضر، وهدى، وضلال، وطاعة، وعصيان، لا يخرج حادث عن مشيئته، ولا يكون إلا بقضائه وإرادته"(١١)، وقال: (ويجب أن يعلم: أن الله مريد على الحقيقة لجميع الحوادث، والمرادات"(١٢).

وقد ربط الأشاعرة صفة الإرادة بالعلم، فقال الأشعري: (مسألة: ويقال لهم: إذا كان الله مريدا فله إرادة؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإذا أثبتم مريدا لا إرادة له فأثبتوا أن قائلا لا قول له وإن أثبتوا الإرادة قيل

لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريدا إلا بإرادة فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالما إلا بعلم وأن يكون لله علم كما أثبتم له الإرادة)[١٣].

وقال البغدادي (٤٢٩هـ): (وهي إرادة واحدة محيطة بجميع مراداته على وفق علمه بها فما علم منها كونه أراد كونه، خيراً كان أو شرًّا وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون. ولا يحدث في العالم شيء لا يريده الله ولا ينتفي ما يريده الله؛ وهذا معنى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[١٤])، وهنا وضح البغدادي أنه لا فرق بين الإرادة والمشيئة فكلاهما بمعنى واحد، فما يريده الله شاء بمشيئته.

وقد أثبت الأشاعرة أن الإرادة كما أن لها ارتباطاً بالعلم كذلك هي مرتبطة بالقدرة، وأرجعوها إلى الإرادة القدرية الكونية، فقال الغزالي (٥٠٥هـ): (وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين، ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه[١٥]).

وقال الآمدي (.٦٣١هـ) :(مذهب أهل الحق أن الباري تعالى مريد على الحقيقة، وليس معنى كونه مريداً إلا قيام الإرادة بذاته[١٦]).

واستدل الأشاعرة على قولهم:

– استدل الأشاعرة بأن الله عز وجل مريد على الحقيقة من قوله تعالى: **{ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}** [البُرُوج : ١٦] "، وقوله تعالى: " **{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [البَقَرَةِ : ١٨٥] "، وقوله تعالى: **{ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** [الأَنفَال : ٦٧] ، وقوله تعالى: **{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}** [النِّسَاء : ٢٨].

– وقد قيل في بعض الآثار: أنه تعالى يقول:" يا ابن آدم؛ تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد"[١٧].

– وقال الباقلاني:" فإن قال قائل فما الدليل على أنه مريد؟ قيل له: وجود الأفعال منه وتقدم بعضها على بعض في الوجود وتأخر بعضها عن بعض في الوجود، فلولا أنه قصد إلى إيجاد ما أوجد منها لما وجد ولا تقدم من ذلك ما تقدم ولا تأخر منه ما تأخر مع صحة تقدمه بدلا من تأخره وتأخره بدلا من تقدمه[١٨]".

ثانياً: علاقة المحبة بالإرادة عند الأشاعرة:

يرى الأشاعرة أن المحبة والرضا والإرادة بمعنى واحد، فالإرادة عند الأشاعرة، معناها: المحبة والرضا، وأنكروا الإرادة الشرعية لغلوهم في مسألة القضاء والقدر، فهم يقولون أن كل ما يريده الله فهو يحبه ويرضاه، فالله أحب الكفر من أبي لهب ورضي به، فالإرادة تستلزم المحبة والرضا، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: **{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}** [الزُّمَر : ٧] " .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني(٤٠٣هـ) : "ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه ورحمته وكراهيته وغضبه وسخطه وولايته وعداوته كلها راجع إلى إرادته"[١٩].

وقال في الفرق بين الإرادة والمشيئة: «واعلم: أنه لا فرق بين الإرادة، والمشيئة، والاختيار، والرضى، والمحبة على ما قدمنا .[٢٠]

يقول سيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ)»: مذهب أهل الحق أن الباري تعالى مريد على الحقيقة وليس معنى كونه مريداً إلا قيام الإرادة بذاته، وذهب الفلاسفة والمعتزلة والشيعة إلى كونه غير مريد على الحقيقة، وإذا قيل إنه مريد فمعناه عند الفلاسفة لا يرجع إلى إلا سلب أو إضافة ووافقهم على ذلك النجار من المعتزلة حيث أنه فسر كونه مريدا بسلب الكراهية والعلية عنه. وأما النظام والكعبي فإنهما قالا إن وصف بالإرادة شرعا فليس معناه إن أضيف ذلك إلى أفعاله إلا أنه خالقها وإن أضيف إلى أفعال العباد فالمراد به أنه أمر بها، وزاد الجاحظ على هؤلاء بإنكار وجود الإرادة شاهدا وقال: مهما كان الإنسان غير غافل ولا ساه عما يفعله بل كان عالما به فهو معنى كونه مريدا، وذهب البصريون من المعتزلة إلى أنه مريد بإرادة قائمة لا في محل وذهب الكرامية إلى أنه مريد بإرادة حادثة في ذاته تعالى الله عن قول الزائغين«...[٢١]

وقال الرازي (٦٠٦هـ) وهو من متأخري الأشاعرة: "إن المحبة غير الإرادة[٢٢]".

ويتبين من قول الرازي أن متقدمي الأشاعرة قالوا بأن المحبة مرتبطة بإرادة الله -عز وجل-، وأن كلاهما بمعنى واحد، فما يريده الله يحبه، وما يحبه الله يريده، أما المتأخرين منهم ففرقوا بين بين المحبة والإرادة.

المطلب الثاني: الإرادة عند الماتريدية:

أولاً: حقيقة الإرادة عند الماتريدية:

أثبت الماتريدي الإرادة، وأن الله — عز وجل- مريد لكل ما يحدث في هذا الكون، وأن عدم نسبة الإرادة لله -عز وجل- فيها نقص لله، وهو منزه عنه — جل وعلا-، وأن الله -عز وجل- خالق أفعال العباد ومريدها على الحقيقة، **وعرف الماتريدي الإرادة بأنها:** " صفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى وزائدة عليها، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة"[٢٣].

قال أبو منصور الماتريدي(٣٣٣هـ): "المتعارف أن الفعل يخرج على إرادة أو غلبة أو غفلة ثم الله سبحانه لا يجوز أن يوصف في فعل العبد بالغلبة أو الغفلة ثبت أن كان بالإرادة(٢٤) ".

وقال أيضاً: "قال الله عز وجل: **{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}** [البُرُوج : ١٦] "، ، امتدح جل ثناؤه بالفعل لما يريد (٢٥)".

قال أبو المعين النسفي (٧١٠هـ): "إذا ثبت أن الله تعالى هو الذي يتولى تخليق أفعال العباد؛ خيرها وشرها، طاعتها ومعصيتها، والله تعالى مختار في تخليق ما يخلق، غير مضطر فيه، ولا اختيار بدون الإرادة، ثبت أن ما وجد من أفعال العباد كلها بإرادة الله تعالى، وما لم يوجد منها لم يكن بإرادة الله تعالى إذ لم يخلقه، ثم حاصل المذهب أن كل حادث حدث بإرادة الله تعالى على أي وصف كان(٢٦)".

فهم يثبتون إرادة الله –تعالى– الشاملة لأفعال العباد؛ لأن أفعال العباد من خلقه تعالى، والقول بعدم إرادة الله الشاملة معناه عدم قدرة الله على أفعالهم، فالقول بالقدرة المطلقة والإرادة المطلقة والعلم المطلق لازم لتمام صفات الألوهية، وأن إرادة الله صفة أزلية ليست حادثة حيث جعلوها من الصفات الزائدة على ذاته وهي صفات المعاني التي أثبتها الماتريدية، وهي متعلقة بجميع الممكنات تعلق تخصيص(٢٧).

ثانياً: علاقة الإرادة بالمحبة عند الماتريدية:

فرق الماتريدية بين الإرادة والمحبة، يقول أبو منصور الماتريدي: (إنه لا محبة في صفة الإرادة، وأن هذه الإرادة لا تستلزم الرضا والمحبة؛ إذ الكفر غير مرض، وهو مراد لله تعالى، وأن الإرادة والمشيئة لفظان مترادفان، كما أن إرادة الله صفة أزلية ليست حادثة، وهي متعلقة بجميع الممكنات تعلق تخصيص، ويترتب على ذلك نفي التلازم بين الإرادة والرضا والمحبة؛ لأن الماتريدية يرون أن معنى الرضا ترك الاعتراض على الشيء لا إرادة وقوعه، ومعنى المحبة استحماده تعالى له، والإرادة عامة، وبذلك يكون بين الإرادة والرضا والمحبة عموم وخصوص وجهي)(٢٨).

وأدلتهم على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر : ٧] ، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البَقَرَةِ : ٢٠٥] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البَقَرَةِ : ٢٢٢].

- احتج بقوله تعالى: "﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البَقَرَةِ : ١٨٥] ، ونحو ذلك وقال :" ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَةِ : ١٨٥] ، والكفر أعسر العسر، قيل الإرادة في هذا تخرج على الإذن والإباحة والرخصة ليس ذلك من أمر الإيمان في شيء فكذا إرادة العسر(٢٩).

- واحتج كذلك بقول الله تعالى : ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٨][٣٠].

- قال الماتريدي: (قد يفعل الرجل ما لا يرضى به ولا يحبه ومحال حقيقة فعل لا يريده وكذا معنى الإرادة متقدم عندهم على الفعل وعندنا معنى يكون معه ولا وجه لها بعده وأمر الرضا والسخط والمحبة ونحو ذلك يكون من بعد في المتعارف أبدا ولا قوة إلا بالله) [٣١].

المطلب الثالث: الموازنة بين قول الأشاعرة والماتريدية:

أثبت الأشاعرة أن الإرادة صفة أزلية قديمة بذات الله تعالى لا تتحدد بتجدد الحوادث، مرتبطة بصفة العلم، والله مريد على الحقيقة قادر على ذلك، فإرادته شاملة لجميع الكائنات، فلا يصدر شيء بهذا الكون إلا بإرادته وعلمه وقدرته، واتفقت الماتريدية مع الأشاعرة في إثبات صفة الإرادة لله -عز وجل- بأنها صفة أزلية قديمة قائمة بذات الله تعالى لا تتجدد بتجدد الحوادث.

أما عن الفرق بين الأشاعرة والماتريدية في علاقة الإرادة بالمحبة، فقد ذهب جمهور الأشاعرة إلى أن الإرادة تستلزم المحبة والرضا، فكما أن الله يريد الكفر يحبه ويرضى به، وهذا ناتج عن عدم تفريقهم بين الإرادة الشرعية والكونية، وأما الماتريدية فهم موافقون لأهل السنة والجماعة فذهبوا إلى عدم استلزام الإرادة للمحبة والرضا، فالكفر مراد الله تعالى ولكنه لم يرض به ولم يحبه.

وكذلك فإن الأشاعرة لا يفرقون بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، ولكنهم اتفقوا على أن صفة الإرادة من صفات الله عز وجل، فالله في نظرهم يريد الخير والشر، والحسن والقبيح، فقالوا إن الإرادة والخلق في مرتبة واحدة، فكل مخلوق لا بد أن تتعلق إرادته بإرادة الله عز وجل، لأنه خالق كل شيء، وهذا الكلام مبني على قولهم بأن العلاقة بين الإرادة والمحبة والعلم والخلق واحدة، ولكنها تختلف باختلاف وجه تعلقها بالمراد.

أما الماتريدية فهم يختلفون عن الأشاعرة بقولهم إن الإرادة مغايرة للمحبة، وهم أقرب بقولهم هذا لأهل السنة والجماعة.

فعندهم أن الله قد يريد ما لا يرضاه؛ مثل الكفر، فالله لا يرضاه ولا يحبه، ومع ذلك فهو واقع بمشيئته وإرادته، ولم يخالف إلا القدرية، فقالوا: وقع من غير إرادة الله ومشيئته وخَلقِه، والأشاعرة يزعمون أن الكفر رضي به الله وأحبه؛ لأنه أراده، وأصل ضلال الطائفتين — القدرية والجبرية- في أكثر مسائل القدر عدم التفريق بين أصل الإرادة والمشيئة، وأصل المحبة والرضا[٣٢].

المبحث الثاني: المشيئة عند الأشاعرة والماتريدية، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: المشيئة عند الأشاعرة:

المشيئة عند الأشاعرة صفة لله تعالى أزلية قديمة لا تتجدد، فكل ما أراده الله شاءه وكان، وكل مالم يرده لم يشأه، ولم يفرقوا بين الإرادة والمشيئة والمحبة، فهي واحدة.

وقد رد الأشعري على المعتزلة في مسألة المشيئة الإلهية، بقوله: "إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون، فلم يؤمنوا، فقد وجب على قولكم :أن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله ألا يكون كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه الله عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون"(٣٣).

قال الباقلاني (ت٤٠٣هـ): "اعلم أنه لا فرق بين الإرادة، والمشيئة، والاختيار، والرضى، والمحبة على ما قدمنا(٣٤)"، وقال أيضاً: "ونعتقد أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه ورحمته وكراهيته وغضبه وسخطه وولايته وعداوته كلها راجع إلى إرادته(٣٥)"، وقال: (لا يخرج حادث عن مشيئته، ولا يكون إلا بقضائه وإرادته"(٣٦).

وقال الإمام الغزالي (ت:٥٠٥هـ) :(الإرادة والمحبة والكراهية داخلان تحت مشيئة الله الأزلية(٣٧)).

وكذلك قال السبكي (ت:٧٧١هـ): (ثم المعاصي بإرادته ومشيئته، والإرادة والمشيئة شيء واحد(٣٨)).

وأدلتهم على ذلك:

١. قوله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**} [الأنعام: ١١١] فأخبر تعالى أن الحجج والآيات لا تنفع، وإنما تنفع المشيئة التي تتم بها الأشياء، فمن شاء إيمانه آمن، ومن شاء كفره لم يؤمن(٣٩).

٢. وقوله تعالى: {**فمنْ شاء فلْيُؤْمِنْ، ومنْ شاء فلْيكْفُرْ**} [الكهف:٢٩]، دلت هذه الآية: على أن مشيئة الإيمان مستعقبة للإيمان، ومشيئة الكفر مستعقبة للكفر، وظاهر أيضا: أن عند عدم هذه المشيئة لا يصدر الفعل عن القادر، وأما العقل، فهو أن القادر قادر على الضدين، أعني: الكفر والإيمان والمعصية والطاعة، فيمتنع أن يترجح أحدهما على الآخر، إلا بواسطة القصد والمشيئة"(٤٠).

٣. قال الغزالي: (المعصية والطاعة تشملهما المشيئة، ولكن لا تشملهما المحبة والكراهية، بل رَّبِّ مراد محبوب، ورب مراد مكروه؛ فالخير والشر داخلان في المشيئة العامة والإرادة الشاملة، لكن الشر مراد مكروه، والخير مراد مرضي عنه؛ فالإرادة هنا قد شملت المحبوب والمكروه(٤١)).

المطلب الثاني: المشيئة عند الماتريدية

فرق الماتريدية بين إرادة الله ومشيئته ومحبته، على ما تقرر في علم الله، فعندهم مشيئة الله نافذة على من علم منه الإيمان، ونافذة على من علم منه الكفر، وعلى هذا فالماتريدية فرقوا بين الرضا والمحبة والإرادة والمشيئة، فقد يريد الله شيئا ولا يحبه، وجعلوا مشيئة العبد تختلف عن مشيئة الله.

قال **الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)**: "وإن كان في تحقيق الكلام في هذا تحقيق في الأولى قال الله تعالى **{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }** إلى قوله :{ **كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** }[الأنعام:١٢٥]، أخبر أنه يريد هداية قوم بأفعالهم بهدايته وإضلال قوم بجعل قلوبهم ضيقة حرجة، وقال عز وجل { **مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } [الأنعام:٣٩]، ففرق بين القوم بالمشيئتين فدلت الآيات على أن الله شاء لكل فريق بما علم أن يكون منهم ودل على أن المشيئة في هاتين الآيتين ليست بأمر ولا رضا، قال تعالى: { **وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** } [السجدة: ١٣]، وقال { **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** }[الشورى: ٨]، وقال { **فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** }[النحل:٩]، ولا يحتمل أن يكون هذه المشيئة رضا أو أمراً"[٤٢].

ففرق الماتريدي بين بين إرادة الله ومشيئته على ما تقرر في علم الله وماله بقوله: "ففرق بين القوم بالمشيئتين فدلت الآيات على أن الله شاء لكل فريق بما علم أن يكون منهم".

كما قال أيضاً مفرقاً بين المحبة والرضا وبين الإرادة والمشيئة: "الفرق بين المحبة والرضا وبين الإرادة والمشيئة بقوله: **{ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ }**[الزمر: ٧]، وقوله: { **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** } [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: **{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ }** [البقرة:٢٢٢]، { **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** }[البقرة: ١٩٠]، وقال في المشيئة **{مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [الأنعام: ٣٩]، وغير ذلك مما يوجب تخصيص المحبة والرضا وتعميم المشيئة والإرادة مع ما يوصف بهما من أفعاله، ولا يوصف بالرضا والمحبة، على أن المشيئة صرفها إلى القوة حتى جعلها بحكم القسر، فلذلك قوتها توجب ذلك، والأصل في ذلك أن المحبة والسخط معنيان يوجبان بفعل العباد وليست المشيئة كذلك لما ليس في أفعال العباد معنى يوجب المشيئة إلا أن يراد بها الرضا أو التمني ولا قوة إلا بالله[٤٣]).

وقال النسفي (ت:٧١٠هـ): " قال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ}** [يونس:٩٩]، على وجه الإحاطة والشمول **{جَمِيعًا}** [يونس:٩٩]، مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه، لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم، ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به[٤٤]).

فقرر النسفي: أن مشيئته سبحانه نافذة على من علم منه اختيار الإيمان، ونافذة على من علم منه اختيار الكفر ولا يؤمن به، وعلى هذا لا يلزم عندهم من المشيئة الرضا والمحبة.

وأورد التفتازاني شواهد عديدة تؤكد أثباتهم صفة المشيئة لله عز وجل منها: قوله تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى}** [الأنعام :٣٤]-، وقوله تعالى: **{ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}** [النحل :٩].

وقوله تعالى: **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [يونس :٢٥]، حيث عقب على من خالفهم بهذا القول(٤٥) بكونها تأويلات فاسدة وباطلة(٤٦).

فظهر من الاستقراء لكلام الماتريدية تفريقهم بين صفة الرضا والمحبة، وصفة الإرادة والمشيئة، وعدم استلزام المشيئة للرضا والمحبة، فالمعاصي والكفر مراد لله تعالى كونا مع عدم الرضا به.

المطلب الثالث: الموازنة بين قول الأشاعرة والماتريدية

يتبين من استعراض النصوص السابقة قول الأشاعرة، إن الرضى والمحبة والمشيئة صفة لله تعالى أزلية قديمة لا تتجدد، وكل ما أراده الله شاءه وأحبه وكان، وكل ما لم يرده لم يشأه ولم يحبه.

كما قرروا أنه لا فرق بين الإرادة والمحبة والمشيئة، وجعلوا المشيئة نوعاً واحداً، ثم طور المذهب الغزالي حينما أخرج المحبة والمشيئة من الإرادة(٤٧)، وتابعه على ذلك بعض الأشاعرة.

أما الماتريدية ففرقوا بين الرضا والمحبة والإرادة والمشيئة، فقد يريد الله شيئا ولا يحبه، وجعلوا مشيئة العبد تختلف عن مشيئة الله.

وبناء على ذلك وقع التساؤل: هل المشيئة والإرادة تستلزمان الرضا والمحبة، أم لا؟

بالاستقراء نرى أن الماتريدية ذهبت إلى عدم استلزام المشيئة للرضا والمحبة، فالمعاصي والكفر مراد لله تعالى كونا مع عدم الرضا به(٤٨).

وذهب جمهور الأشاعرة إلى أن الإرادة والرضا متحدان فالله تعالى كما يريد الكفر يرضى به أيضاً واختار بعضهم المذهب الأول(٤٩).

وجه اختلافهم ناشئ عن عدم التفرقة بين الإرادة الكونية والشرعية.

المبحث الثالث: الإرادة والمشيئة عند السلف

أثبت أهل السنة والجماعة أن إرادة الله جل وعلا أزلية، لم يزل الله جل وعلا كذلك، وأن علماء أهل السنة لا يقولون إن المحبة هي محض الإرادة، فالإرادة ثابتة بقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ**

صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

والإرادة في كتاب الله نوعان:

أولاً: الإرادة الدينية الشرعية: كقوله تعالى :"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"، وقوله تعالى: **{وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ} [المائدة:٦]**، وقوله تعالى: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النساء:٢٦]**، إلى قوله: **{ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ}"[النساء:٢٧]**، فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضى وهي الإرادة الدينية الشرعية، وإليه الإشارة بقوله : **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الزاريات:٥٦]**.

ثانياً: الإرادة الكونية القدرية: فمثل قوله تعالى: **{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}** [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر ولا عرف ولا نكر.

وهذه الإرادة والمشيئة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي، وأما الإرادة الدينية فهي مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان. وهذا التقسيم الوارد في اسم الإرادة يرد مثله في اسم الأمر والكلمات؛ والحكم والقضاء والكتاب والبعث والإرسال ونحوه؛ فإن هذا كله ينقسم إلى كوني قدري وإلى ديني شرعي.[٥٠]

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، قال الإمام الراغب: (فمحبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، وإثابته إياه[٥١]).

وقال العلامة الشوكاني: (ومعنى محبة الله لهم الرضا عنهم والإحسان إليهم؛ كما يفعل المحبُّ بمحبوبه[٥٢]).

وليس في الوجود موجب ومقتض على الحقيقة إلا مشيئة الله وحده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والمشيئة من مراتب القدر الأربع التي دل عليها الإجماع، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وإن كان منهم في موضع آخر، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون. [٥٣]

ومن أدلة ذلك:

١. قوله تعالى :**{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}** [البقرة: ٢٥٣].

٢. وقال تعالى: **{ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }** [آل عمران: ٤٠]].

٣. وقال تعالى: **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}** [الأنعام: ١١٢].

والسؤال :هل هناك فرق بين الإرادة والمشيئة أو ليس هناك؟

الإرادة عامة تشمل الإرادة الكونية.

وهذه هي المشيئة، وتشمل الإرادة الشرعية.

وليست هي المشيئة، فالمشيئة إذا: موافقة للإرادة الكونية، فهي أخص من الإرادة، والإرادة بشكل عام تشمل المشيئة وزيادة ما عليها الإرادة الشرعية.

والدليل على ذلك قول الله عز وجل : **{ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا }** [السجدة:١٣]، **وقوله تعالى: لآ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا }** [يونس:٩٩]، فدل ذلك على أن المشيئة هنا هي المشيئة الكونية، أو هي الإرادة الكونية؛ لأن الإرادة الشرعية معناها :أن الله عز وجل يريد من العباد أن يؤمنوا، ومع هذا يقول : **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا }** [يونس:٩٩].[٥٤]

لا يكون شيء إلا بإرادته (أي الإرادة الكونية)، ولا يخرج شيء عن مشيئته، والمشيئة تشمل كل ما يكون ولا تنقسم، بخلاف الإرادة[٥٥]، قال ابن تيمية –رحمه الله-: (فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر ولا عرف ولا نكر وهذه الإرادة والمشيئة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي وأما الإرادة الدينية فهي مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان وهذا التقسيم الوارد في اسم الإرادة يرد مثله في اسم الأمر والكلمات؛ والحكم والقضاء والكتاب والبعث والإرسال ونحوه؛ فإن هذا كله ينقسم إلى كوني قدري، وإلى ديني شرعي[٥٦])

" فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، ولذلك تتعلق بما يحبه وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني، وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته. وما وجد

من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني. وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته" (٥٧).

ومذهب الماتريدية موافق للسلف، في أن الإرادة الكونية القدرية موافقة للمشيئة ولابد أن تقع، فإذا أراد الله شيئاً كوناً وقدراً لا بدّ أن يقع، ولا يشترط أن توافق محبة الله ورضاه، فقد يريده الله كوناً، ولا يحبه شرعاً، بخلاف الإرادة الشرعية، فهي يلزم منها المحبة والرضا، ولا يشترط أن تقع.

قال الماتريدي في تفسيره مبيناً أن جميع الخلق لا يخرجون عن مشيئته وخلقه سبحانه وتعالى: " وصف - عَزَّ وَجَلَّ - نفسه بالقدرة، وجعلهم جميعًا متقلبين في مشيئة، وأخبر أنه شاء لبعضهم الضلال، ولبعضهم الهدى، فمن قال: إنه شاء للكل الهدى لكن، لم يهتدوا، أو شاء للكل الضلال - فهو خلاف ما ذكره عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه أخبر أنه شاء الضلال لمن ضل، وشاء الهدى لمن اهتدى.

وأصله: أنه إذا علم من الكافر أنه يختار الكفر، شاء أن يضل وخلق فعل الكفر منه، وكذلك إذا علم من المؤمن أنه يختار الإيمان والاهتداء، شاء أن يهتدي وخلق فعل الاهتداء منه"(٥٨).

أما مذهب الأشاعرة فلا يوجد عندهم إلا إرادة واحدة وهي القدرية، وينكرون وجود الإرادة الشرعية الأمرية؛ لغلوهم في جانب إثبات القدر(٥٩).

وخلاصة القول في ذلك أن السلف جعلوا الإرادة نوعين، كونية وشرعية، وافقهم على ذلك الماتريدية، بينما خالف الأشاعرة السلف والماتريدية، وجعلوا الإرادة إرادة واحدة وهي القدرية الكونية، ولم يثبتوا الإرادة الشرعية.

الخاتمة:

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي هذ البحث يمكن أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في النقاط التالية:

١- أثبت الأشاعرة أن صفة الإرادة صفة أزلية قديمة قائمة بذات الله -تعالى- لا تتجدد بتجدد الحوادث، مرتبطة بصفة العلم، والله مريد على الحقيقة قادر على ذلك، فإرادته شاملة لجميع الكائنات، وعلى ذلك وافقتهم الماتريدية.

٢- ذهب جمهور الأشاعرة إلى أن الإرادة تستلزم المحبة والرضا، فكما أن الله -تعالى- يريد الكفر يحبه ويرضى به، وهذا ناتج عن عدم تفريقهم بين الإرادة الشرعية والكونية، وأما الماتريدية فهم موافقون للسلف، فذهبوا إلى عدم استلزام الإرادة للمحبة والرضا، فالكفر مراد الله -تعالى- ولكنه لم يرض ولم يحبه.

٣- بسبب عدم التفريق بين الإرادتين وقع الخطأ في مسألة الإرادة، فلم يقسم الأشاعرة والماتريدية الإرادة والمشيئة إلى قسمين، كما قسمهما السلف: إرادة شرعية دينية، مبنية على المحبة والرضا، وإرادة

كونية قدرية لا يشترط فيها المحبة والرضا؛ لأن المعاصي لا يحبها الله ولا يرضاها، ومع هذا فإن الله – تعالى– قد أذن بوجودها، وهو غير ظالم لمن أتى بها، لأنه قد أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وجعل له العقل الذي يميز به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، فاختار العبد الشر، فلما اختار الشر يسره الله -تعالى– لاختياره.

٤– المشيئة هنا والإرادة هي الإرادة الكونية التي تنتظم جميع الحادثات والكائنات بلا استثناء، ولفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى: إرادة كونية فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة.

هوامش البحث:

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يبدأ بها النبي صلى الله عليه وسلم، رواها بن ماجه في سننه، كتاب النكاح، بَابُ خُطْبَةِ النِّكَاحِ، (١٨٩٢)، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْكَلَامِ عِنْدَ النِّكَاحِ، (٣٢٧٨).

(٢) ومن هذه المصنفات، الرد على الجهمية للإمام أحمد، والرد على الجهمية للدرارمي، والرد على بشر المريسي له أيضاً، وخلق أفعال العباد للبخاري، الحجة في بيان المحجة للأصفهاني، وغيرها كثير.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٤٨٤).

(٤) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط (١/١٠٥)، دار القلم، دمشق.

(٥) تاج العروس، مادة (رود)، (ج: ١ / ص: ١٩٩٧).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر، (١٣/٤٥٠).

(٧) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (ص:١٤٥).

(٨) معجم الفروق اللغوية للعسكري، مادة (رود)، (ج: ١ / ص: ٢٣).

(٩) أبو الحسن الأشعري هو: " ناصر الدين" علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال ابن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني رضي الله عنه، فهو من نسل ذلك الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. اختلف المؤرخون في سنة مولده؛ فمنهم من قال إنه ولد سنة ٢٦٠ هـ، ومنهم من قال إنها سنة ٢٦٦هـ، ومنهم من قال إنها ٢٧٠ هـ، والذي عليه الجمهور أنه ولد سنة ٢٦٠ هـ؛ كما رجحه ابن عساكر، ترجم له العديد من المؤرخين منهم، ابن نديم في الفهرست، والبغدادي في تاريخه، والسمعاني في الأنساب، وابن الجوزي في المنتظم، وابن خلكان في الوفيات، وابن أبي الوفاء في الجواهر المضية في طبقات الحنفية، والذهبي في العبر وفي سير أعلام النبلاء، والسبكي في طبقات الشافعية، وابن كثير في البداية والنهاية، والمقريزي في الخطط، وابن تغري بردي، والزركلي في الأعلام.

(١٠) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لابي الحسن الاشعري (ص: ١٢١).

(١١) انظر: الإنصاف، للباقلاني، (ص: ٦).

(١٢) المصدر نفسه، (ص: ٦).

(١٣) الإبانة عن أصول الديانة، (ج: ١ / ص: ١٤٥)

(١٤) أصول الدين، للبغدادي، ص:١٠٢.

(١٥) قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ص: ١٧٩.

(١٦) غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، (ج ١ / ص ٥٢).

(١٧) الإنصاف، للباقلاني، (ص:١٠)، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم (٢٠٠٢٣)، أن هذا اللفظ ليس له أصل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٨) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني، ص٤٧.

(١٩) الإنصاف للقاضي أبي بكر للباقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢٠٠٠م، (ص: ٦)

(٢٠) الإنصاف للقاضي أبي بكر الباقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢٠٠٠م، (ص:١٣).

(٢١) غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١/ ٥٢).

(٢٢) مفاتيح الغيب، الرازي، (٣-٢١٩).

(٢٣) تفسير الماتريدي، (ص:١٦٣).

(٢٤) التوحيد، للماتريدي، (ص:٢٨٩).

(٢٥) المصدر نفسه، (ص:٢٨٩).

(٢٦) التمهيد لقواعد التوحيد، للنسفي، ص٧٥

(٢٧) تفسير الماتريدي، (ص:١٦٣).

(٢٨) المصدر نفسه، (ص:١٦٣).

(٢٩) التوحيد، للماتريدي، ص٢٩٧.

(٣٠) التوحيد، للماتريدي، ص٢٩٨.

(٣١) التوحيد، للماتريدي، ص٢٩٧.

(٣٢) نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، خالد بن علي الغامدي، ط: مكتبة دار الحجاز، (ص: ٤٤٨).

(٣٣) الإبانة عن أصول الديانة، (ص:٤٩٣).

(٣٤) الانصاف للباقلاني، (ص: ٤٣).

(٣٥) المصدر نفسه، (ص:٦).

(٣٦) المصدر نفسه، (ص:٦).

(٣٧) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٨٨/٤).

(٣٨) السيف للمشهور في شرح عقيدة أبي المنصور، السبكي، (ص: ٣٢).

(٣٩) الانصاف، للباقلاني، (ص: ١٥٣).

(٤٠) المطالب العالية من العلم الإلهيّ المطالب العالية من العلم الإلهيّ، الرازي (١٧٦/٩).

(٤١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٩٥/٤).

(٤٢) التوحيد للماتريدي، (ص:٢٨٧).

(٤٣) التوحيد، ص٢٩٧.

(٤٤) تفسير النسفي (٢/ ٤٢).

(٤٥) وهم المعتزلة ، وذلك بقولهم في معنى الإلجاء: هو خلق الإيمان والهداية فيهم بلا اختيار منهم.

(٤٦) شرح المقاصد، (٤-٢٧٦).

(٤٧) انظر: موقف بن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط: مكتبة الرشد (٦٢٦/١).

(٤٨) انظر: نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، خالد بن علي الغامدي، ط: مكتبة دار الحجاز، (ص: ٤٤٨).

(٤٩) انظر: الإنصاف، (ص:٦)، وإحياء علوم الدين (٨٨/٤)، والمطالب العالية (١٧٦/٩).

(٥٠) مجموع الفتاوى، (١٨-١٣٢).

(٥١) مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص٢٨٧)

(٥٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» للشوكاني (ج٢ ص٥٨٥).

(٥٣) شفاء العليل، ١٤٧.

(٥٤) شرح العقيدة الواسطية، عبد الرحيم السلمي، (١٦/٦).

(٥٥) شرح لمعة الاعتقاد، لخالد المصلح، (٩/٨).

(٥٦) مجموع الفتاوى، (١٣٢/٨).

(٥٧) شفاء العليل/ لابن القيم، (١٦٥/١).

(٥٨) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) . ط: دار الكتب العلمية، (٨١/٤).

(٥٩) نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، خالد بن علي الغامدي، ط: مكتبة دار الحجاز، (ص: ٤٤٧).

المصادر والمراجع:

- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (المتوفى: ٣٢٤هـ) تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي – عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية – الطبعة: ١٤١٣هـ .
- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (المتوفى: ٣٢٤هـ) تحقيق: د. فوقية حسين محمود – دار الأنصار — القاهرة – الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ

- أصول الدين، للإمام عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية ، تركيا اسطنبول ، الطبعة الأولى: ١٣٤٦ هـ- ١٩٢٨ م.
- قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ا (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: موسى محمد علي – عالم الكتب – لبنان – الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
- غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، ١٣٩١ تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد ، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر – مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
- (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور للماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم – دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م
- تفسير النسفي، أبو البركات النسفي تحقيق: يوسف علي بديوي/ الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
- التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. فتح الله خليف – دار الجامعات المصرية – الإسكندرية
- السيف للمشهور في شرح عقيدة أبي المنصور، تاج الدين أبي نصر السبكي، الطبعة: الأولى. ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) دار المعرفة – بيروت (٣٥٣/٤).
- المطالب العالية من العلم الإلهيّ المطالب العالية من العلم الإلهيّ، الرازي
- التوحيد، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د. فتح الله خليف الناشر: دار الجامعات المصرية – الإسكندرية.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ – ٧٥١)، تحقيق: زاهر بن سالم بَلفقيه، راجعه: سليمان بن عبد الله العمير – أحمد حاج عثمان الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) .
- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
- مجموع الفتاوى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣ هـ) مكتبة الأزهرية للتراث – الطبعة: الثانية ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م

- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: الحسن بن عبد الله العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ). المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بـ "قم" الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤٢٠هـ.
- نقض عقائد الأشاعرة والماتريدية، خالد بن علي الغامدي، الناشر: دار أطلس الخضراء، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

المواقع:

- شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.
- شرح لمعة الاعتقاد، المؤلف : خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net